التقييد والحجاج دراسة لغوية معاصرة

الدكتورة: أمينة أيوبي

مدرسة في قسم اللغة العربية باختصاص فقه اللغة العربية كلية الآداب – جامعة البعث

❖ الملخص:

أشارت كثير من الدراسات اللغوية التي عنيت بالحجاج إلى التفريق بين الروابط والعوامل الحجاجية استناداً إلى ما قدمه الباحث ديكرو في تعريف كل منهما، في حين جعلت بعض الدراسات الروابط والعوامل شيئاً واحداً، وذلك نحو ما قدمه عز الدين الناجح في كتابه عن العوامل الحجاجية. ويحاول هذا البحث وضع حدود فاصلة بين الرابط والعامل في اللغة العربية وفق طبيعة البناء اللغوي في الجملة العربية معتمداً نتاج الدراسات المعاصرة في نظرية الحجاج وبناء التراكيب أساساً له ، ومنطلقاً من مبدأ التقييد ، ومستفيداً مما خلّفه علماؤنا في تراثنا النحوي والبلاغي.

◆**الكلمات المفتاحية:** الحجاج – التقييد – الرابط – العامل – الجملة.

The Modification and the Argument: language and contemporary study

Summary

Many of the studies concerned with the pilgrims pointed to the differentiation between the links and the argumentative factors based on what the researcher presented and repeats in the definition of each of them, while some studies made Links and factors are one thing, about what Izz al-Din al-Najah presented in his book, argumentative factors. In the Arabic sentence, relying on the results of contemporary studies in pilgrims and basic structures, it is a logic of the principle of adherence, benefiting from what our scholars left behind in our grammatical and rhetorical heritage

Key words: Modification, Argument, operetuers and connectuers , sentence.

العامل الحجاجي تركيب اصطلاحي أفرزته النظرية الحجاجية في لبوسها المعاصر إثر التجديد الذي عمل عليه الدارسون في الغرب أمثال بيرلمان وتيتيكاه وديكرو وأنسكومبر، وغيرهم. وقد اختلف بعض الدارسين في مفهوم هذا التّركيب حين طبِّق على اللغة العربية ونصوصها المنجزة، فخلط بعضهم بين مفهومه ومفهوم الرابط الحجاجي. ولعلنا بحثنا هذا عن التقييد وربطه بالحجاج سيضع حدوداً واضحة دقيقة بين كلٍّ من الاصطلاحين. فما هو التقييد ؟ وما هو العامل الحجاجي؟ وما هو الرابط؟ وما صلة التقييد بهما؟

هذه تساؤلات يحاول البحث الإجابة عليها مستنداً إلى المنهج الوصفي التحليلي في عرض المفاهيم وتوضيحها وربطها بشواهد تطبيقية بغية الوصول إلى نتائج علمية سليمة.

أولاً : التقييد

دُرِس التقييد في اللغة العربية في ميادين علمية متنوعة عبر تاريخ العلوم العربية، إذ تناوله العلماء من نواحٍ ثلاث هي:

أولاً : في علوم القرآن وأصول الفقه إذ درس بعض الباحثين ألفاظ آيات الأحكام في القرآن الكريم من حيث الإطلاق والتقييد ودلالة اللفظ على معناه لمعرفة كيفية استنباط الأحكام في الشريعة الإسلامية نحو ما جاء في : الإتقان في علوم القرآن للسيوطي والبرهان في علوم القرآن للزركشي وغيرهما من كتب تراثية كثيرة

تناولت هذه الظاهرة [1]. والأسس المنهجية في تفسير النص القرآني لعدي جواد الحجار[2] ، وأصول الفقه الإسلامي لوهبة الزحيلي[3]. والإطلاق والتقييد وأثرهما في فقه المعاملات والعقوبات لسماح شلبي[4].

ثانياً: في علمي النحو والبلاغة، وقد خصّ النحاة والبلاغيون تبيين وجوه تقييد المسند والمسند إليه والأدوات الدالة عليه ودلالاته البلاغية والمعنوية الخاصة في جوانب من كتبهم. وتعدّ هذه البحوث الأساسَ الذي انطلق منه البحث ، ومن ذلك على سبيل المثال: دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة ، ومعظم كتب البلاغة قديمها وحديثها [5]. وأسرار تقييد المسند بأدوات الشرط إن وإذا ولو ومواقعه في

---

[1]– الإتقان في علوم القرآن الكريم جلال الدين السيوطي، خرج الأحاديث علق عليها شعيب الأرناؤوط، واعتنى به مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 2008. والبرهان في علوم القرآن بدر الدين الزركشي (ت 794)، قدّم له وعلق عليه وخرج أحاديثه مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان.

[2]– الصادر عن وزارة الثقافة، العراق، الطبعة الأولى، 2012.

[3]– الصادر عن دار الفكر دمشق 1986م.

[4]– رسالة دكتوراه بإشراف د. إبراهيم هلال نوقشت في جامعة عين شمس ، مصر، عام 2000.

[5]– ينظر : دلائل الإعجاز في علم المعاني : عبد القاهر الجرجاني . وقف على تصميمه وعلق حواشيه الشيخ محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ، 1988 . وينظر على سبيل المثال جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع : أحمد الهاشمي . مؤسسة هنداوي، ص 157– 173. والمفصل في علوم البلاغة العربية المعاني والبيان والبديع : عيسى العاكوب . طبعة جديدة مزيدة ومنقحة ، عام 1437هـ. وقد اقتصر صاحبا هذا الكتاب على التفصيل في

القرآن الكريم[1]. والقيد التركيبي في الجملة العربية دراسة دلالية لنماذج من الروابط بين النحو العربي والنحو التوليدي [2]. وقيد الحال وقيد التوكيد وأثرهما في تحديد الدلالة – دراسة في لفظة جميعاً في القرآن الكريم[3].

ثالثاً: الدراسات الاصطلاحية التي بيَّنت مفهوم التقييد وحدوده وهي دراسات قليلة، منها، بحث للدكتور حسن محمود نصر بعنوان مفهوم القيد في العربية والإنجليزية دراسة في ضوء علم اللغة التقابلي ، منشور في مجلة كلية الآداب بجامعة حلوان العدد /26/ عام 2009. سلط فيه صاحبه الضوء على مفهوم لفظة القيد واشتقاقاتها ودلالاتها في اللغتين العربية والإنكليزية.

مصطلح التقييد:

التقييد في اللغة من القيد ، وهو كما يقول ابن فارس " كلمة واحدة ... وهو معروف ثم يستعار في كل شيء يَحبِس يقال قيدته أقيِّده تقييداً " [4]. وفي لسان العرب : وقيدُ الرجل: قدٌّ مضفورٌ بين حِنوَيه من فوق وربما جعل للسرج قيدٌ كذلك، وكذلك كل شيء أُسِرَ بعضُه إلى بعض ومنه قول امرئ القيس في وصف فرسه

تقييد المسند إليه بالتوابع وبضمير الفصل ، وعلى تقييد المسند الفعلي بالمفعول والشرط ينظر ص 136 وما بعدها.

[1]– للدكتور محمود موسى حمدان، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2011. وقد خصّه صاحبه ببعض أدوات الشرط فحسب كما هو واضح من عنوان البحث.

[2]– منجي العمري، الدار التونسية للكتاب، الطبعة الأولى، 2015 .

[3]– بحث لسعد مقداد صادر عن مجلة جامعة العلوم التطبيقية / العلوم الإنسانية والاجتماعية – الأردن العدد/1/ ، المجلد /46/ عام 2019.

[4]–مقاييس اللغة : ابن فارس تحقيق عبد السلام هارون مكتبة الخانجي، مصر. مادة ق ي د.

قيد الأوابد أي أنه يلحق الوحش لجودته ويمنعه من الفوات بسرعته وأنها مقيدة له لا تعدو[1]. فالتقييد في اللغة مصدر للفعل المزيد قيَّد الدال على الأسر والحبس دلالة حقيقية أو مجازية.

والتقييد في الاصطلاح هو" تعليق وحدة نحوية بأخرى لإفادة معنى أو لسلامة مبنى" [2]. ويقصد بالإفادة في المعنى –حسب رأي حسن محمود نصر– إعطاء أحد ثلاثة أنماط من الإفادة الدلالية هي:

1– إنشاء المعنى التركيبي.

2– تخصيص هذا المعنى أو تغييره.

3– إعطاء معلومة إضافية فوق المعنى التركيبي الأصلي.

أما سلامة المبنى فيقصد بها تحقيق نحوية التركيب أي جعله تركيباً نحوياً سليماً بحيث يقبله النظام النحوي للغة المعينة [3]. وقسّم الباحث القيودَ بناء على ذلك إلى أربعة أقسام، هي [4]:

الأول : قيود تنشئ المعنى التركيبي أو الحكم أو الخبر أو الإسناد ، أي تتعلق بغيرها عن طريق علاقة الإسناد . وتسمى القيود الإسنادية.

---

[1]– لسان العرب جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت طبعة جديدة منقحة، ط4، 2005. مادة ق ي د.

[2]–ينظر : مفهوم القيد في العربية والإنكليزية ص 191.

[3]– المرجع نفسه ص 192.

[4]– المرجع نفسه ص 192– 193.

الثاني : قيود تخصص المعنى التركيبي أو تكمله أو تغيّره . وهي الوحدات النحوية التي تتعلق بغيرها عن طريق علاقة أفقية غير علاقة الإسناد، ولا يتم المقصود من التركيب إلا بها إذ إنّ إسقاطها يفسد المعنى. وتسمى القيود التحديدية.

الثالث: قيود تعطي معلومة إضافية، فإسقاطها لا يفسد المعنى التركيبي. وتسمى القيود غير التحديدية.

الرابع: قيود تحافظ على السلامة النحوية للتركيب ، وهي الوحدات النحوية المركبة التي توصف تجاوزاً بأنها غير ذات معنى لكنها تسهم في نحوية التركيب .

لقد كان د.حسن نصر موفقاً في تعريفه للقيد ، لكنه بالغ في تطبيقه على اللغة حين جعل الإسناد قيداً من تلك القيود ، إذ إن الرابطة التي تجمع المبتدأ والخبر والفعل والفاعل هي الإسناد، وهو عماد الجملة في النحو العربي ، وليس التقييد. فالتقييد يشمل الأنواع الثلاثة الأخيرة الآنفة الذكر فحسب، أي القيود التحديدية وغير التحديدية. وكلما زاد الحكم في الجملة " تقييداً زاد خصوصيّة وكلما زاد خصوصية زاد فائدة " [1] ، وارتقى درجة حجاجية . إذن إن كلّ ما يُخصِّص أو يغيِّر أو يعطي معنى إضافياً لمكوِّن إسنادي هو قيد مسلط على المسند أو المسند إليه أو ما تعلَّق بهما سواء أتغيّر المعنى بإسقاط ذلك القيد أم لم يتغيّر ، ففي قوله تعالى على سبيل المثال: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى**" (الآية 43 من سورة النساء) قيَّد الحالُ وهو [جملة أنتم سكارى] الفاعل ، وهو قيد تحديدي لا يجوز إسقاطه لأن المعنى لا يصحُّ إلا به، أما في قوله تعالى:

[1]– المفصل في علوم البلاغة : عيسى العاكوب ص136.

"وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ" (الآية 25 من سورة التوبة) فإن الحال [مدبرين] قيّد الفاعل بقيد يمكن إسقاطه، ويصحّ المعنى من دونه، إذ غايته تأكيد المعنى، لأن التولي والإدبار واحد.

بناء على ما سبق ووفق قواعد التركيب في الجملة العربية يقسَم التركيب في الجملة قسمين: قسم أساس يربط بين عناصره الإسناد ويتكون من المسند والمسند إليه وما يتعلق بهما، وقسم ثانوي يتكون من عناصر تقيّد أحد طرفي الإسناد أو ما تعلق بهما بتخصيص أو تغيير أو تفصيل أو تأكيد. ففي الجملة الاسمية تقوم عملية الإسناد على المبتدأ والخبر وما أضيف إليهما. وكل ما عدا ذلك هو قيد لأحدهما أو لما لحق بهما. فقولنا زيد شجاع جملة اسمية قائمة على الإسناد، وخالية من أي قيد ، أما قولنا : زيد شجاع في هجومه أمس على الأعداء شجاعة الأسود فهي جملة اسمية قائمة على الإسناد أيضاً لكنها تضمنت قيوداً حددت المعنى المراد ووجهت المتلقي وقللت وجوه التأويل .

وفي الجملة الفعلية إذا كان الفعل لازماً يقوم التركيب على الفعل والفاعل، أما إذا كان الفعل متعدياً فالتركيب الأساس قائم على الفعل والفاعل والمفعول به، وكل ما سوى ذلك فهو مكون غير إسنادي غرضه تقييد المسند أو المسند إليه أو ما أضيف إليهما. ففي قولنا درس زيدٌ جملة فعلية قائمة على الإسناد خالية من المقيّدات، أما قولنا: درس زيدٌ دراسةً جيدةً يومَ أمس وهو في غرفته ثلاث ساعات. فهو جملة إسنادية فعلية تحوي قيوداً متتابعة ، لكن مكونها الإسنادي هو الفعل والفاعل.

ثانياً : الحجاج

الحجاج في اللغة من حجّ ، يقول ابن فارس : " الحاء والجيم أصول أربعة فالأولى القصد وكل قصد حج ... وممكنٌ أن يكون الحُجَّة مشتقة من هذا ، لأنها تُقصَد أو بها يقصد الحق المطلوب، يقال: حاججتُ فلاناً فحجَجْته ،أي غلبته بالحجة، وذلك الظفر يكون عند الخصومة، والجمع حججٌ، والمصدر الحِجاج"[1] . ومن الواضح أنه خصّ الحجاج بالخصومة . أما في لسان العرب فنجد المعنى أكثر تعميماً لكن صاحبه ربط الحجاج بالاستدلال والجدل يقول: " يقال حاججته أحاجّه حجاجاً ومحاجّة حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أوليت بها.. والحجة الطريق.. الحجة البرهان، وقيل ما دوفع به عن الخصم.. وهو رجل مِحْجاج أي جَدِل.. الحجة الدليل والبرهان"[2].

أما الحجاج في الاصطلاح فقد فرّق الدارسون في العصر الحديث بين المصطلحات التي قد يظهر للقارئ أنها مترادفة، كالحجاج والاستدلال والبرهان والجدل ومازوا بينها في المستوى اللغوي والاصطلاحي وفصّلوا في ذلك في كتبهم تفصيلاً لا مجال لذكره هنا [3].

---

[1]- مقاييس اللغة مادة ح ج ج .

[2]- لسان العرب مادة ح ج ج.

[3]- ينظر تفصيل ذلك: اللغة والحجاج: أبو بكر العزاوي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 2006. ص15 وما بعدها ، وفي نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات: عبد الله صولة، الشركة التونسية للنشر، تونس، الطبعة الأولى، 2011. ومن الحجاج إلى البلاغة الجديدة: جميل حمداوي . مكتبة الأدب المغربي، الدار البيضاء، 2014. ص9 – 59. وغيرها كثير.

والحجاج كما هو معروف مصطلح قديم ألبسته الدراسات اللغوية المعاصرة لبوساً جديداً ويعدّ ديكرو وأنسكومبر من أوائل الذين عالجوا مفهوم الحجاج وسلطوا الضوء عليه بوصفه نظرية جديدة في اللغة والبلاغة ، وذلك في قولهما : " إن الحجاج يكون بتقديم المتكلم قولاً ق1 أو مجموعة أقوال يفضي إلى التسليم بقول آخر ق2 أو مجموعة أقوال" [1]. والحجاج حسب باتريك شاردو "حاصل نصي عن توليف بين مكونات مختلفة تتعلق بمقام ذي هدف إقناعي" [2].

وكل نص حجاجي يقوم على ثلاثة عناصر أساسية هي:

1- خبر عن العالم يمثل إشكالاً بالنسبة لشخص معين.

2- فاعل يهتم بهذه الإشكالية قناعة وينشئ برهنة لمحاولة تأسيس حقيقة.

3- فاعل آخر مهتم بالخبر نفسه وهو الذي يشكل هدف الحجاج[3].

وهذه العناصر الثلاثة توجد في النص وفق تتابع خطي تحكمه علاقات محددة يختارها منشئ النص وفق رؤيته الخاصة مستنداً إلى قواعد المقال والمقام. وجعلها بنوا رونو في كتابه النص الحجاجي خمسة عناصر هي : القصد المعلن أو ما يعبّر عنه بالوظيفة الإيحائية ، والتناغم أي قيام النص على منطق ما ، والاستدلال أي البيان العقلي ، والبرهنة أي الأمثلة والحجج ، وتقنيات الإقناع

1- الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت، الطبعة الثانية، 2007م . نقلاً عن ديكرو وأنسكومبر ص 33.

2-الحجاج بين النظرية والأسلوب ص 16.

3-المصدر السابق ص 13.

المختلفة [1]. وتحتوي البنية اللغوية التي هي أساس الحجاج في النص على مجموعة من الأساليب – حسب بيرلمان وتيتكاه – " تضطلع في الخطاب بوظيفة هي حمل المتلقي على الاقتناع بما تعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع"[2].

وقد أكّد ديكرو طبيعة اللّغة الحجاجية ، إذ إنّ الحجاج باللغة "يجعل الأقوال تتابع بترابط على نحو دقيق ، فتكون بعضها حججاً تدعم وتثبت بعضها الآخر" [3]. حتى إن الألفاظ والأقوال والعبارات التي نستعملها وننتجها في حياتنا اليومية لها طابع حجاجي واضح، ولها قوة حجاجية بارزة تسعى من خلالها إلى التأثير في المتلقي[4].

وموضوع نظرية الحجاج قائم على دراسة "تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تجعل العقول تُسلِّم بما يُعرَض عليها من أطروحات أو تزيد في درجة ذلك التسليم"[5].

إن ما ذكر آنفاً يحمل في ثناياه أفكاراً ثلاثاً أولاها: امتلاك اللغة – أية لغة – بنية حجاجية في ذاتها بالفطرة. وثانيها: ترتيب الكلمات واختيارها داخل العبارة له سلطان حجاجي يزيد أو ينقص من درجة الحجاج فيها. أما ثالثها فيبيّن الغرض

1- الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه: سامية الدريدي، دار حلاوة للنشر، الأردن، الطبعة الأولى ، 2011. ص 26.

2- المرجع السابق ص21.

3- المرجع السابق ص 23.

4-اللغة والحجاج ص 133.

5- في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات ص 76.

الأساس من النص الحجاجي، وهو الحمل على الإذعان أو الزيادة في درجة الإذعان عبر وسائل وتقنيات لغوية وغير لغوية. وفي هذا الثالث نظر لأننا كثيراً ما نتلفظ بعبارات تحمل بنية حجاجية لكن غرضها الأساسي نقل المعلومة أو الإخبار أو غايات بلاغية أخرى.

نخلص مما سبق إلى إن عناصر التركيب وترتّبها في البنية اللغوية يدرَس حجاجياً في مستويين هما:

1- مستوى الجملة الواحدة: وذلك وفق مفهوم النحاة العرب في تعريف الجملة كما أشرنا سابقاً.

2- مستوى تتابع الجمل "النص" وترتيبها وعلاقاتها.

وتحتوي البنية الحجاجية في المستويين على وحدات لغوية ، سمّاها ديكرو الوسم الحجاجي أو الإرشاد الحجاجي، فإذا كان هذا الوسم يربط بين وحدتين دلاليتين داخل الفعل اللغوي نفسه سمي عاملاً حجاجياً ، وإذا ربط بين فعلين لغويين اثنين سمي رابطاً حجاجياً[1].

ويوضّح ذلك أبو بكر العزاوي في قوله: "ينبغي أن نميز بين صنفين من المؤشرات والأدوات الحجاجية: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية، فالروابط تربط بين قولين أو حجتين أعلى الأصح أو أكثر، وتسنِدُ لكل قول دوراً محدداً

[1]- الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو: الراضي رشيد، مجلة عالم الفكر، العدد /1/ المجلد /34/ ، يوليو سبتمبر 2005 . ص 225 و 234.

داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة ... أما العوامل فهي لا تربط بين متغيرات حجاجية، أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج، ولكنها تقوم بحصر وتقليد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما"[1].

وقد فصّل عز الدين الناجح في كتابه الذي خصّصه للعوامل الحجاجية في تعريف الرابط والعامل لكنه خلط بينهما وأدرج الروابط ضمن العوامل الحجاجية، ويبدو ذلك واضحاً من الجداول التي أثبتها لأنواع العوامل ووافق عليها[2]. على الرغم من وجود فارقٍ بيّنٍ بين كل منهما ، إذ إن العوامل تقوي طاقة التركيب الواحد، وتقلّص إمكاناته وتقوم بـ "توجيه الحجاج عامة، والخطاب خاصة نحو نتيجة محددة فهي لا تصنع القضايا ولا تربط بينها ولكنها تجمع وتنسق بين الأحداث القولية"[3].

وتتلخص وظائف العامل حسب ديكرو بـ:

1- القضاء على تعدد الاستلزامات والنتائج فلا تتعدد المسالك التأويلية.

2- ضمان تسلسل الخطاب.

---

[1]- اللغة والحجاج ص 27.

[2] ينظر العوامل في اللغة الجداول ص 18 و 19 – 20، وقد أشار الناجح في نهاية الكلام إلى الباحث قيقليون الذي عدّ الروابط ضمن العوامل الحجاجية في قوله (فكفانا قيقليون بذلك مؤونة التمييز بين هذي الصنفين وأدرج ... الروابط في عداد العوامل لأنها في نهاية المطاف توفّر للملفوظ بهده الحجاجي). العوامل في اللغة ص20.

[3]- العوامل في اللغة نقلاً عن كارون ص 25.

3- تقوية التوجيه نحو النتيجة[1]. وذلك نحو الاستفهام والقصر والنفي.

وهذه الوظائف ذاتها – كما يزعم هذا البحث – يقوم بها في اللغة العربية المكوّنات غير الإسنادية التي أشرنا إليها آنفاً. فكل ما خرج من إطار عملية الإسناد في الجملة الواحدة يعدُّ في زعمنا تقييداً لها، وهو عامل من العوامل الحجاجية التي دخلت سياق الجملة لتقلِّل من عموم التركيب وإطلاقه وتقوِّي الحجاج وتوجِّهه نحو نتيجة واحدة. وذلك نحو الصفة والحال وشبه الجملة بنوعيها والتوكيد والتمييز وغير ذلك بالإضافة إلى ما ذكره العلماء من القصر والنفي والاستفهام.

ولكل واحدٍ من هذه المقيِّدات دورُه الخاص في البنية الحجاجية للجملة وشروطٌ خاصة في عمله وتأدية وظيفته في التخصيص وتوجيه المخاطب للتأويل الصحيح بعد تعدد التأويلات الناجمة عن عموم عملية الإسناد.

وقد أشار عبد الله صولة في كتابه عن الحجاج إلى دور التوكيد والصفة والبدل والمفعول المطلق في التركيب في اللغة العربية، وسماه عدولاً كميّاً بالزيادة، لكنه لم يربطه بالعوامل الحجاجية، وهذا العدول حسب رأيه يكسب الجملة طاقة

[1]- اللغة والحجاج ص 50 ، وقد فصل أبو بكر العزاوي في أنواع الروابط وبيّن أقسامها وأشار إلى أن العوامل هي القصر والاستفهام والنفي. وينظر أيضاً العوامل في اللغة ص 33.

حجاجية ، وكلما زاد زادت الجملة طاقة جديدة . والجملة الخالية من هذا العدول جملة درجتها الحجاجية صفر[1].

وبيّن صولة فائدة ذلك في " أننا إذا ربطنا العدول الطارئ على الكلام بأثر المقام من ناحية، وبما يرمي إليه من تأثير في المقام من ناحية أخرى جعلنا له بعداً آخر ، وعيَّنا له وظيفة أخرى ... وهي الوظيفة الحجاجية التي ينهض بها الكلام " [2]. أي أن المقام أولاً هو المنتِج للنص يضاف إليه أثر المقال في تغيير المقام ومدى التأثير فيه عبر ما يحويه من ملفوظات تزيد درجة حجاجية المقال أو تنقصه . وهذا التأثير إذن لا يقتصر على العدول بالتوكيد بجميع أشكاله التي أشار إليها صولة ، لكنه يشمل جميع المقيِّدات الداخلة في التركيب، والمسلّطة على عموم الإسناد في الجملة الواحدة ، وهي من ثمّ تجعل للكلام بعداً حجاجياً، وتضيف له طاقة حجاجية، وكلما زادت هذه القيود قويت الحجة وارتقى الكلام درجة في سلم الحجاج.

ولعل في قول عبد القاهر الجرجاني تأكيداً لزعمنا، يقول "إنك إذا قلت ضرب زيدٌ عمراً يوم الجمعة ضرباً شديداً تأديباً له ، فإنك تحصل من مجموع هذه الكلم على مفهوم هو معنى واحد ، لا عدة معانٍ كما يتوهم الناس، وذلك لأنك لم

[1]– ينظر التفصيل في مصطلح العدول الكمي بالزيادة الحجاج في القرآن: عبد الله صولة ص237– 252.

[2]– المرجع نفسه ص251.

تأت بهذه الكلم لتفيده أنفس معانيها ، وإنما جئت بها لتفيده وجوه التعلق بين الفعل الذي هو ضرب، وبين ما عمل فيه والأحكام التي هي محصول التعلق"[1].

فالحكم إذن في التركيب واحد ، وهو ضربُ زيدٍ لعمرو لكن المتكلّم قيد هذا الضرب بمقيدات عدة لتقوية الحجاج وتوجيه المخاطب وحصر جميع تأويلاته التي يمكن أن يفكر بها وتثيرها جملة خالية من هذه المقيدات نحو قولنا : ضرب زيدٌ عمراً.

ولتوضيح فكرة البحث سنقوم ببيان أثر تعدد الحال والصفة وشبه الجملة في التقييد بوصفهم عوامل حجاجية في شواهد من القرآن ، مدلِّلين على أهمية تعددهم في تخصيص التركيب والغرض الحجاجي الخاص بهم.

1- تعدد الصفة:

الصفة في النحو من التّوابع التي تكمّل متبوعها بذكر صفة من صفاته، نحو : طويل وقصير وأحمق وعاقل ، أو بذكر صفة لمتعلِّق متبوعها ، كقولنا مررت برجل كريم أبوه [2]. وهي الاسم الدال على بعض أحوال الذات ، وتأتي للتخصيص في النكرات وللتوضيح في المعارف . فغرض الوصف تخصيص نكرة

[1]- دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني ص 316.

[2]- معاني النحو : فاضل صالح السامرائي . دار الفكر، الأردن، الطبعة الأولى ، 2000. 3: 181.

أو إزالة اشتراك في معرفة لنفي اللبس عنها. وقد ذكر ابن يعيش أربعة أنواع من الصفات حسب غرضها هي [1] :

1- صفة تُخصِّص النكرة نحو مررت برجل طويل.

2- صفة توضح وتزيل الاشتراك لنفي اللبس نحو مررت بمحمدٍ الخياط.

3- صفة تؤدي معنى المدح أو الثناء أو ضدهما من ذمٍّ أو تحقير، كقوله تعالى: " سبح اسم ربك الأعلى " ، وقوله " وما هو بقول شيطانٍ رجيم" .

4- صفة تؤكد معنى الموصوف كقولنا: أمس الدابر لا يعود.

ويضيف البلاغيّون أغراضاً أخرى للتقييد بالصفة، كالصفة التي تأتي للترّحم نحو مررت بعباسٍ البائس، أو للتعميم نحو إن الله يرزق عباده التائبين والعاصين ، أو للتفصيل نحو مررت بثلاثة رجالٍ كاتبٍ وشاعرٍ وفقيهٍ ، أو للإيهام نحو كتبتُ له رسالة حسنةً أو سيئةً جواباً لمن سألك: هل كتبت له رسالة ؟ [2].

إن الصفة بأنواعها إذن تقييدٌ للموصوف ما عدا النوع الثالث –حسب تقسيم ابن يعيش السابق–وسنبيّن أثرها في تقييد الموصوف في قوله تعالى:

[1]– شرح المفصل موفق الدين يعيش المعروف بابن يعيش. عنيت بطبعه ونشره إدارة الطباعة المنيرية بمصر . 2: 232– 233.

[2]–ينظر المفصل في علوم البلاغة العربية المعاني والبيان والبديع : عيسى علي العاكوب. ص 136–138. ومعاني النحو : فاضل السامرائي 3: 182– 183.

" وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (67) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (68) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (69) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (70) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (71)"[1]. البقرة 67 – 71.

عُرِضت في هذا النص قصة بقرة بني إسرائيل حين توجّه القوم إلى نبيهم موسى ليتبيَّنوا حقيقةَ مقتل واحدٍ منهم ومعرفة القاتل ، ويعرض النص صورةً من

[1]– **الفارض:** المسِّنة ، **والبكر**: الفتية **والعوان:** النصف. **الفقوع:** أشد ما يكون من الصفرة والفقوع خاص بالصفرة فكأنه قيل شديد الصفرة. **لا ذلول:** صفة للبقرة بمعنى غير ذلول لم تذلل للكراب وإثارة الأرض ولا هي من النواضح التي يستقي عليها لسقي الروث. ولا الأولى للنفي والثانية لزيادة توكيد الأولى ، لأن المعنى لا ذلول تثير وتسقي على أن الفعلين صفتان لذلول. **مسلمة:** اسم مفعول سلمها الله من العيوب أو معفاة من اللون، **لا شية فيها:** لا لمعة في نقبتها (النقبة اللون والوجه) من لون آخر. ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري محمود بن عمرو بن أحمد جار الله. دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، مُذيَّل بحاشية الانتصاف فيما تضمنه الكشاف لابن المنير الإسكندري، 1407هـ. 1: 148–153. والتحرير والتنوير لابن عاشور 1: 546–548.

صور تعنّت بني إسرائيل وجدلهم لرسولهم وعدم استجابتهم السريعة لما يلقى عليهم من أوامره.

فالغرض الأساسي من عرض القصة ليس إقناع المتلقي أو إلزامه القيام بفعل ما ، وإنما هو تعريته بأسلوب حجاجي ، "والمقصود بالمتلقي هنا بنو إسرائيل" ، وكشف حبّه للجدل وتعنّته الذي أدى إلى تثقيل الأمر وتدرّج الشّارع سبحانه بإلزامه وتقييده وفق مجريات القصة[1]:

النص القرآني السابق هو نص حجاجي من جهتين:

الأولى: حسب ديكرو إن بنية اللغة في ذاتها تحمل طابعاً حجاجياً قائماً على تتابع مكوناتها.

الثانية: وفقاً للشروط الثلاثة التي ذكرها شاردو وأشرنا إليها آنفاً. وهي متحققة فيه، فالنصّ ينقل خبراً عن العالم يمثل إشكالاً وهذا الإشكال هو حادثة القتل وعدم معرفة القاتل، ويحوي فاعلَين الأول هو موسى عليه السلام نبي الله الذي ينقل أوامر ربه إلى بني إسرائيل محاولاً دفعهم لتنفيذها، والثاني هو قوم موسى الذين يهتمون بالخبر ويشكلون هدف النص وغاية الحجاج.

[1]– والدليل على ذلك كما يقول ابن عاشور أن الآية سيقت مساقَ الذم لهم وهذا دليل على أنه تكليف بقصد التأديب تأديب على سوء الخلق والتذرع للعصيان أو تأديب علمي على سوء فهمهم للتشريع، ينظر تفصيل ذلك : تفسير التحرير والتنوير: ابن عاشور الطاهر، الدار التونسية للنشر، (د.ت). 1: 546

تفضح هذه القصة طبيعة التفكير لدى هؤلاء القوم الذين ضيّقوا على أنفسهم بجهلهم فضيّق الله عليهم لما سألوا عن تفاصيل أرهقت كاهلهم على الرغم من إيمانهم بنبوة موسى. ولو أنهم استجابوا لأمره سبحانه وتعالى في صورته الأولى في الآية (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) بما ينطوي عليه هذا القول من بنية حجاجية كافية لإقناعهم؛ فالمأمور بالذبح مطلق النوع والشكل نكرةٌ غير موصوفة ولا محددة، والجملة خبرية طلبية منقولة على لسان النبي بأمر الله .

لكنّ طبيعة تفكيرهم جعلتهم يطوفون الأرض مشرقاً ومغرباً بحثاً عن مذبوح تدرجت قيوده بتدرج أسئلتهم ولم يستيقنوا إلا حين "تعقّد الأمر وتضاعفت الشروط وضاق مجال الاختيار" 1 ، فهم متّصفون في هذه القصة بصفات منها " انقطاع الصلة بين قلوبهم وذلك النبع الشفيف الرقراق نبع الإيمان بالغيب ، والثقة بالله ، والاستعداد لتصديق ما يأتيهم به الرسل ثم التلكؤ في الاستجابة للتكاليف وتلمس الحجج والمعاذير والسخرية المنبعثة من صفاقة القلب وسلاطة اللسان"[1].

ولم يجدوا بعد ذلك غير بقرة واحدة كانت "وحيدةً بتلك الصفات فساوموها من اليتيم حتى اشتروها بملء مسكها ذهباً وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة دنانير ... وما كادوا يفعلون لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم..."[2].

– 1في ظلال القرآن : سيد قطب. دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية والثلاثون، 2003. 1: 77.

–2 أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي: ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي. إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشي، دار إحياء التراث

وإذا تأملنا النص السابق واستخرجنا الصفات نلمح أثر التدرج في عدد القيود الموجودة في البنية اللغوية مع تكرار أسئلة القوم وتشدّدهم ، والجدول الآتي يوضح ذلك [1] :

المكونات الإسنادية وما يتعلق بها	القيد الأول	القيد الثاني	القيد الثالث	القيد الرابع
إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة إنه يقول إنها بقرة إنه يقول إنها بقرة إنه يقول إنها بقرة	لا فارض ولا بكر صفراء لا ذلول	عوان بين ذلك فاقع لونها تثير الأرض	تسر الناظرين مسلّمة	لا شية فيها

إن الموصوف في كل ما سبق هو البقرة، وقد كان أولاً خالياً من أي وصف. ثم جاء في الآية الثانية بعد سؤالهم بوصفين متتاليين في خطاب يعلو على الأول بدرجتين حجاجتين من حيث التقييد إذ جاء سبحانه "بالإطناب لا فارض ولا بكر ، دون أن يقول من أول الجواب إنها عوان تعريضاً لغباوتهم واحتياجهم إلى تكثير التوصيف حتى لا يترك مجالاً لإعادة السؤال"[2].

العربي، بيروت، طبعة جديدة منقحة ومصححة. 1: 86- 87. وينظر الكشاف 1: 148-153

[1]- اقتصر الجدول على تصنيف المقيّدات الخاصة بصفة البقرة فحسب.

[2]-التحرير والتنوير لابن عاشور 1: 446 .

لكنهم لم يكْفِهم هذا القول فجاءت الآية الثالثة مدعّمة بعوامل حجاجية ثلاثة، هي صفات متتالية تقيِّد هذه البقرة من حيث اللون، فهي: صفراء – فاقع لونها – تسر الناظرين. وعلى الرغم من تتالي هذه القيود إلا أن القوم أَبَوا إلا التفصيل الزائد، فجاءت الآية الرابعة في الوصف بأربعة قيود هي: لا ذلولٌ – تثير الأرض – مسلمة – لا شيةَ فيها ، مع ملاحظة التنوع في نوع هذه الصفات من حيث كونها اسماً مفرداً وجملة فعلية وجملة اسمية . مما لا يدعُ مجالاً للتردد والشك في طبيعة هذه البقرة ونوعها وشكلها وعدم شبهها ببقرة أخرى ، فاستسلم القوم وبحثوا عنها ووجدوها فذبحوها وما كادوا يفعلون.

2- تعدد الحال:

الحال في النحو هو ما يعمل فيه الفعل فينتصب ، وهو حال وقع فيه الفعل ، نحو : ضربت عبد الله قائماً [1] . وهي وصف أو ما قام مقامه فضلة مسوق لبيان الهيئة أو للتوكيد[2] ، ويفسّر ابن يعيش تسميته بهذا الاسم في قوله :" إنما سمي حالاً لأنه لا يجوز أن يكون اسم الفاعل فيها إلا لما أنت فيه، تطاول الوقت أم قصر ، ولا يجوز أن يكون لما مضى وانقطع ، ولا لما لم يأت من الأفعال ، إذ الحال هيئة الفاعل أو المفعول وصفته في وقت ذلك الفعل...يجيء

[1]– الكتاب : سيبويه 1: 44 . تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة الخانجي، القاهرة ، الطبعة الثالثة، 1408هـ.

[2]– معاني النحو 2: 277.

بعد تمام الكلام واستغناء الفعل بفاعله" ، ثم يضيف : " لأن الحال لا تبقى ، بل تنتقل إلى حال أخرى "[1] .

فالحال تقييد لصاحب الحال بهيئة مخصوصة وقت الفعل في زمنه الحاضر متغيِّرة بتغيُّره، فقولنا مثلاً : دخل زيد ضاحكاً أو أقبل محمدٌ مسرعاً ، لا يدل على ضحك زيد الدائم، ولا على إسراع محمد في إقباله دائماً ، إنما خَصَّ الضحك والإسراع وقت وقوع الحدث. **وهي –أي الحال–بنوعيها** المؤسِّسة التي تبيّن هيئة صاحبها زمن وقوع الحدث كما ذكرنا في المثال السابق ، والمؤكِّدة التي يستفاد معناها مما قبلها ، كقوله تعالى " ولَّيتم مدبرين" **عامل** من العوامل الحجاجية . ولتوضيح ذلك سنورد نصاً قرآنياً يبرز أثر الحال وتعددها في الحجاج، يقول تعالى: " **لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (27)**" [2].الآية 27 من سورة الفتح.

هذا نص قرآني حجاجي موجّه إلى أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، يبرهن فيه سبحانه وتعالى صدق رؤيا نبيه في دخول القوم المسجد الحرام ، قبيل خروجه إلى الحديبية التي رأى فيها صلى الله عليه وسلم كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا، فقصّ الرؤيا على أصحابه ففرحوا واستبشروا

[1]– شرح المفصل لابن يعيش 2 : 4 .

[2]–آمنين: حال من الواو والشرط معترض (إن شاء الله) محلقين رؤوسكم ومقصرين أن يحلق بعضكم ومقصراً آخرون، لا تخافون: بين دخولكم المسجد أو فتح مكة، فتحاً قريباً: فتح خيبر. ينظر: أنوار التنزيل 4: 346.

وحسبوا أنهم داخلوها في عامهم، فلما تأخّر ذلك قال بعضهم: والله ما حلَقْنا ولا قصَّرنا ولا رأينا المسجد الحرام ، فنزل قوله تعالى تصديقـاً لرسوله وإثباتاً للدخول دون تعيين زمــن معين[1].

وإذا عدنا إلى النص السابق فإننا نرى أن في الآية أحوالاً ثلاثة ، بينها اسم معطوف هي: آمنين (حال مؤسسة)– محلقين (حال مؤسسة) ، ومقصرين(اسم معطوف على الحال فهو حال أيضاً في دلالته) – لا تخافون (جملة فعلية في محل نصب حال مؤكدة) . وهذه القيود المتمثّلة في الحال دفعت الشك الموجود في قلوب بعض المؤمنين ، ووصفت حالهم بدقة لحظة تحقيق حلمهم ونصرهم ، فوقعت " الثقة بالأمرين وهما الدخول والأمن الذي هو قيد في الدخول وآمنين حال مقارنة للدخول ومحلقين ومقصرين حال مقدرة، ولا تخافون بيان لكمال الأمن بعد تمام الحج".[2]

وجملة لا تخافون حال مؤكدة لآمنين تأكيداً بالمرادف ، للدلالة على أن الأمن كامل تحقق. "والتحليق والتقصير كناية عن التمكّن من إتمام الحج والعمرة ،

[1]– ينظر الكشاف 4: 234. والتحرير والتنوير 25: 198– 201، وأنوار التنزيل للبيضاوي 4: 345– 346.

[2]– البحر المحيط أبو حيان الأندلسي، دار الفكر، بيروت، 1992. 9: 490

وذلك من استمرار الأمن" . وفي هذا " تطمين من الله لهم بأن ذلك سيكون لا محالة وهو في حين نزول الآية لما يحصل بقرينة قوله إن شاء الله" [1] .

لم تترك الآية أي مجال للريب في حصول الأمر، وحصرت جميع التأويلات الممكنة وقلصت عموم القول ، ولذلك لمّا نزلت "علم المسلمون أنهم يدخلونها فيما يُستأَنف ، واطمأنَّت قلوبهم ، ودخلوها معه صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة سنة سبع . وذلك ثلاثة أيام هو وأصحابه وصدقت رؤياه صلى الله عليه وسلم"[2].

المكونات الإسنادية وما يرتبط بها	القيود		
لتدخلن المسجد الحرام	القيد الأول آمنين	القيد الثاني محلقين ومقصرين	القيد الثالث لا تخافون

إن تعدد الحال إذن أدى دوراً حجاجياً في تقوية الجملة وحصر مجالات التأويل وتوجيه المخاطب فهو عامل حجاجي بلا شك.

3-تعدد شبه الجملة:

شبه الجملة في النحو يشمل الظرف بنوعية ظرف المكان وظرف الزمان وحروف الجر مع مجرورها، وقد تعددت المصطلحات الدالة عليها في كتب النحاة

1- التحرير والتنوير ص 200 و 188. وينظر تفصيل دخول الرسول صلى الله عليه وسلم مكة معتمراً ثم فتحها: في ظلال القرآن لسيد قطب في تصويره البديع وعرضه اللافت وذكره العبر المستفادة من هذه القصة. 26: 3329-3333.

-[2]البحر المحيط 9: 491

كالإضافة وما يشبه الجملة والظرف والصفة وشبه المشتق والمفعول فيه [1]. واستقر المصطلح في العصور المتأخرة على شبه الجملة. ويعرف ابن يعيش الظرف بقوله: " إنها أوعية لما يجعل فيها ، وقيل للأزمنة والأمكنة ظروف ، لأنّ الأفعال توجد فيها فصارت كالأوعية لها" [2] . ولا بد لشبه الجملة بنوعيها من متعلَّق تقيّده ويوضح دلالتها المبهمة ، يقول المالقي: " واعلم أن إلى وغيرها من حروف الجر... لا بد لها ممّا تتعلق به ، أي ممّا هو متضَمِّنٌ لها ومستدعٍ لها لطلب الفائدة واستقامة الكلام " [3] ، وكذلك الظرف.

أما الوظيفة الأساس لشبه الجملة فلا خلاف فيها ، فهي ترد في التركيب " تكملة للحدث الذي تقيِّده ، فيتم معناها بهذا التعلق المقيد، تقول: نقيم غداً في دمشق، فترى أن الفعل وحده يدل على حدث الإقامة دلالة عامة غير محددة بزمان واضح أو مكان معلوم...ولكن قولك غداً حدّد الزمان الذي تقع فيه تلك الإقامة ، وقولك في دمشق حدد المكان الذي يضمّ الإقامة وتكون فيه ، ولولا هذان القيدان لبقي الحدث ناقص الدلالة" [4]، وكانت درجته الحجاجية صفراً.

---

[1]- ينظر : كتاب سيبويه 1: 419. ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام 1: 206. دمشق، 1964. وشرح المفصل لابن يعيش 8: 7.

[2]-المفصل لابن يعيش 8: 7.

[3]- رصف المباني في شرح حروف المعاني: أحمد بن عبد النور المالقي. تحقيق: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، 1394هـ. ص81.

[4]- إعراب الجمل وأشباه الجمل : فخر الدين قباوة. دار القلم العربي، حلب، الطبعة الخامسة، 1989. ص273

يقول تعالى في سورة يس: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ (28) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (29)﴾

هذا النص القرآني جاء في نهاية قصة الرجل المؤمن من بني إسرائيل، وقيل إن اسمه حبيب وكان يعمل نجاراً ، الذي جاء من أقصى المدينة داعياً قومه لتصديق الرسل والإيمان بالله، وذكرت هذه القصة لضرب المثل لقوم محمد صلى الله عليه وسلم ، ليعتبروا بما حل بالأمم الأخرى، إذ قال تعالى في أولها : ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (13)﴾ [1].

ذكر المفسرون أن معنى الآية " لما وقع ما وقع منهم مع حبيب النجار غضب الله له، وعجّل لهم النقمة وأهلكهم بالصيحة، ... من بعد قتلهم له... لإهلاكهم وللانتقام منهم، أي لم يحتج إلى إرسال جنود من السماء لإهلاكهم" [2].

إن المعنى الأساس للجملة في الآية يكتمل بقولنا: ما أنزلنا جنداً، إذ إنزال لا يكون إلا من السماء، ومن في (من جند) حرف جر زائد، وسياق الجملة يبيّن أن عدم الإنزال موجّه إلى قوم الرجل المؤمن. لكن المعنى الحجاجي يصبح أقوى بذكر أشباه الجمل التي عملت على تأكيد النفي من جهة، ورفع الطاقة الحجاجية للتركيب

[1]- ينظر تفصيل قصة القوم والرسل والقرية واختلاف المفسرين في ذلك: التحرير والتنوير لابن عاشور 23: 5-6، والكشاف للزمخشري 3: 317-321،

[2]- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير: محمد بن علي الشوكاني، ضبطه وصححه: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت،2007. 4: 420.

من جهة ثانية ثلاث درجات في سلمه الحجاجي، وكأن الجملة المنفية قد كررت أربع مرات . وما ذلك إلا لدفع أدنى شكٍّ يخامر النفوس المتلقية للنص (وهم قوم محمد صلى الله عليه وسلم) في حتمية العذاب وسرعته وسهولته على الخالق جل وعلا. وذلك لأن شبه الجملة قد حدد زمان وقوع الحدث ومكانه وجهته، مما يحصر وجوه التأويل ويوجه المتلقي للنتيجة المتمثلة بإهلاك القوم الكاذبين في كل زمان ومكان. والجدول الآتي يوضح ذلك:

المكونات الإسنادية وما يرتبط بها	القيود				
وما أنزلنا	القيد الأول النفي	القيد الثاني على قومه	القيد الثالث من بعده	القيد الرابع من جند	القيد الخامس من السماء

نتائج البحث:

1- العامل الحجاجي في اللغة العربية هو المكونات التي تضطلع بدور التقييد في التركيب في الجملة الواحدة ، فهو يشمل المفاعيل وأشباه الجمل والحال والصفة وغيرها، بالإضافة إلى القصر والاستفهام والنفي، لأنّ هذه المكونات تقوم بدور مهم في توجيه المخاطب وتخصيص الخطاب ودفع التأويل باتجاه النتيجة.

2- تقوم المكونات غير الإسنادية في التركيب بوظيفة التقييد في النص سواء أكانت مما يمكن الاستغناء عنه في الجملة أم لا.

3- هناك فرق واضح بين العامل والرابط، إذ إن العامل يوجد في قضية حجاجية واحدة – في الجملة الواحدة – غايته التقييد من خلال توجيه المخاطب وحصر الإمكانات التأويلية ويدخل فيه الحال والصفة والمفعول لأجله والتمييز وغير ذلك ، وفق شروط خاصة بكل واحد منها يمكن استخراجها بالإفادة من التراث البلاغي والنحوي وربطهما بالنظرية الحجاجية . في حين أن الرابط يربط بين قضيتين ويرتّب القضايا داخل النص كالعطف والاستئناف والشرط وغيرها.

4- للغة بنية حجاجية طبيعية وهذا ما دعا إليه ديكرو فهي قائمة أصلاً على تتابع مكوناتها لذلك لا يشترط في النص الحجاجي أن يكون غايته الإقناع أو زيادة درجة هذا الاقتناع إنما يشترط أن تكون بنيته حجاجية من حيث مكوناتها.

5- يقوم التركيب الحجاجي الواحد على مكونين هما: مكوّن إسنادي يتكون من المسند والمسند إليه وما يلحق بهما، ومكوّن غير إسنادي – ثانوي – هو القيود الموجودة في تتابع بنية هذا التركيب.

6- تعدد الصفة والحال وشبه الجملة أدى دوراً كبيراً في عملية الحجاج ، فتدرجت حجاجية النص وفق عدد الصفات في النص الأول، وأزال تعدُّدُ الحال الشكَ والريبَ وزاد تطمين قلوب المؤمنين وأكّد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في النص الثاني، وأكد تعدد شبه الجملة النفي في التركيب وحدد الزمان والمكان والجهة فأبعد الشك في حتمية العذاب وتعجيله.

المصادر والمراجع:

1- الإتقان في علوم القرآن الكريم جلال الدين السيوطي، خرج الأحاديث علق عليها شعيب الأرناؤوط، اعتنى به مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 2008.

2- أسرار تقييد المسند بأدوات الشرط إن وإذا ولو ومواقعه في القرآن الكريم: محمود موسى حمدان. مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2011م.

3- الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني: عدي جواد الحجار. وزارة الثقافة، العراق، الطبعة الأولى، 2012م.

4- أصول الفقه الإسلامي: وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، 1986م.

5- الإطلاق والتقييد وأثرهما في فقه المعاملات والعقوبات دراسة تطبيقية على الأحاديث الواردة في نيل الأوطار شرح منتقى الأخيار للشوكاني: سماح شلبي، رسالة دكتوراه جامعة عين شمس، عام 2000.

6- إعراب الجمل وأشباه الجمل : فخر الدين قباوة. دار القلم العربي، حلب، الطبعة الخامسة، 1989.

7- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي: ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي. إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة جديدة منقحة ومصححة.

8- البحر المحيط : أبو حيان الأندلسي، دار الفكر، بيروت، 1992.

9- البرهان في علوم القرآن بدر الدين الزركشي (ت 794)، قدّم له وعلق عليه وخرج أحاديثه مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان.

10- تفسير التحرير والتنوير: ابن عاشور الطاهر، الدار التونسية للنشر، (د.ت).

11- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع : أحمد الهاشمي . مؤسسة هنداوي.

12- الحجاج بين النظرية والأسلوب عن كتاب نحو المعنى والمبنى: باتريك شاردو ترجمة: أحمد الودرني، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، الطبعة الأولى، 2009.

13- الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه: سامية الدريدي، دار حلاوة للنشر، الأردن، ط1، 2011.

14- الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت، الطبعة الثانية، 2007م.

15- الحجاجيات اللسانية عند أنسكوبير وديكرو: الراضي رشيد، مجلة عالم الفكر، العدد /1/ المجلد /34/ ، يوليو سبتمبر 2005 .

16- دلائل الإعجاز في علم المعاني عبد القاهر الجرجاني وقف على تصميمه وعلق حواشيه الشيخ محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1988.

17- رصف المباني في شرح حروف المعاني: أحمد بن عبد النور المالقي. تحقيق: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق ، 1394هـ.

18- شرح المفصل موفق الدين يعيش المعروف بابن يعيش. عنيت بطبعه ونشره إدارة الطباعة المنيرية بمصر.

19- العوامل الحجاجية في اللغة العربية: عز الدين الناجح مكتبة علاء الدين، تونس، الطبعة الأولى، 2011م.

20- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير: محمد بن علي الشوكاني، ضبطه وصححه: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت،2007.

21- في ظلال القرآن : سيد قطب. دار الشروق ، القاهرة، الطبعة الثانية والثلاثون، المجلد الأول فيه أربعة أجزاء، والمجلد السادس وفيه أربعة أجزاء. 2003.

22- في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات: عبد الله صولة، الشركة التونسية للنشر، تونس، الطبعة الأولى ، 2011.

23- القيد التركيبي في الجملة العربية دراسية دلالية لنماذج من الروابط بين النحو العربي والنحو التوليدي: منجي العمري. الدار التونسية للكتاب، الطبعة الأولى، 2015م.

24- قيد الحال وقيد التوكيد وأثرهما في تحديد الدلالة دراسة لفظة جميعاً في القرآن: سعد مقداد، مجلة الدراسات للعلوم الإنسانية الاجتماعية الصادرة عن جامعة العلوم التطبيقية الأردن، المجلد (46) العدد الأولى عام 2019.

25- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : الزمخشري محمود بن عمرو بن أحمد جار الله. دار الكتاب العربي ، الطبعة الثالثة ، مذيل بحاشية الانتصاف فيما تضمنه الكشاف لابن المنير الإسكندري ، 1407هـ.

26- لسان العرب جمال الدي محمد بن مكرك بن منظور، دار صادر، بيروت طبعة جديدة منقحة، الطبعة الرابعة ، 2005.

27- اللغة والحجاج: أبو بكر العزاوي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 2006.

28- المفصل في علوم البلاغة العربية المعاني والبيان والبديع : عيسى العاكوب . طبعة جديدة مزيدة ومنقحة، عام 1437هـ.

29- مفهوم القيد في العربية والإنكليزية دراسة في ضوء علم اللغة التقابلي: حسن محمود نصر، مجلة كلية الآداب بجامعة حلوان، العدد /26/ يوليو 2009.

30- معاني النحو: فاضل صالح السامرائي. دار الفكر، الأردن، الطبعة الأولى، عام 2000.

31- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام. دمشق، 1964.

32- مقاييس اللغة أبو الحسين أحمد بن فارس تحقيق عبد السلام هارون مكتبة الخانجي، مصر.

33- من الحجاج إلى البلاغة الجديدة : جميل حمداوي . مكتبة الأدب المغربي، الدار البيضاء، 2014.